جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية

المجلد 16، العدد 2
ربيع الثاني 1441 هـ / ديسمبر 2019 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 2616-7166

أدب إعراض النبي محمد ﷺ دراسة قرآنيّة موضوعيّة

محسن سميح الخالدي

وائل خليل أبو عرقوب

كلية الشريعة - جامعة النجاح الوطنية

نابلس - فلسطين

تاريخ الاستلام: 2016-12-07 **تاريخ القبول: 2017-03-14**

ملخص البحث:

هذا البحث دراسة قرآنية في إطار التفسير الموضوعي لكتاب الله سبحانه؛ حيث يناقش أدب إعراض النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في القرآن الكريم، فهو يسلط الضوء على هذا الخلق العظيم عند النبي عليه السلام، حيث عرض القرآن الكريم أصنافًا من الناس أعرض عنهم رسول الله ﷺ تأدبًا منه، كالمشركين، والمنافقين، والخائضين في آيات الله تعالى، كما تبين أن القرآن الكريم عرض صورًا لإعراض النبي محمد ﷺ منها: الإعراض الجسمي، والمتمثل في ترك القعود ومغادرة المجلس عند الخوض في آيات الله، والإعراض السلوكي، المتمثل في عدم الالتفات والإصغاء لكلام المشركين، وهو مظهر من مظاهر أدب الإعراض؛ يراد منه الرفض وعدم القبول والتسليم، كما قد يكون بدافع الاستعلاء والتنزه عن الخوض فيما هو دنيء، ومن الإعراض السلوكي الكف عن المجادلة، والمقاطعة مع الإهمال والمقت، والتجاوز والصفح عن المسيء.

والإعراض في جميع الحالات السابقة غالبا ما يكون لعيب في المعرض عنهم، وظهر أن الإعراض في كثير من حالاته في القرآن الكريم هو أسلوب تربوي نفسي مؤثر في المعرض عنهم، وهو أبلغ من الكلام.

الكلمات الدالة: الأدب، الإعراض، الإشاحة، المعرض عنهم، الإعراض السلوكي، الإعراض الجسمي.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي أدب نبيه بشرعه المبين، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث رحمةً للعالمين، وقدوة للمربين والمؤدبين، ونبراسًا للمعرضين عن المشركين والجاهلين، وصلوات الله وسلامه على آله وأصحابه أجمعين، ومن اتبع نهجهم وتحلى بأدبهم، بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن الناظر في القرآن الكريم نظرة المتدبر يجده قد تضمن أصول الآداب الرفيعة، والأخلاق السامية، وهو أساس الفضائل والقيم العالية. كما ويُلحظ جليًا تَعَرُّض القرآن الكريم للحديث عن الرسل والأنبياء ومنهم خاتم الرسل محمد ﷺ، فيذكر أدبه وتأديبه من قبل ربه ﷻ. فقد جاء الأمر الرباني للرسول ﷺ بالإعراض عن أصناف عديدة من الناس من خلال مواقف ومقامات مختلفة. فجاء هذا البحث الموسوم بـ(أدب إعراض النبي محمد ﷺ) ليتم التركيز فيه على دراسة الأبعاد والمضامين الأدبية والأخلاقية للإعراض المحمود لرسول الله ﷺ، وليكشف عن أدب قرآني عظيم، فيتجلى لقارئ كتاب ربنا ﷻ التأديب الرباني لرسوله ﷺ وكيف يوجهه إلى خير الآداب والفضائل، على نحو يظهر رقي الذوق، وحسن التعاطي، ومقدار الحكمة في التعامل مع الأشخاص من ذوي العقائد والتصورات والأفكار والمواقف المنافية لديننا، بل ومع المسلمين أنفسهم في مواقف ومقامات معينة.

إن تعدد الآيات التي تسلط الضوء على إعراض النبي محمد ﷺ في مختلف مراحل الدعوة الإسلامية تدعونا للوقوف والنظر مليا في فقه هذا الأدب العظيم؛ ليكون من خلال ذلك زادًا وسندًا للدعاة والمربين، فكان العزم على خوض غمار هذا البحث وفق منهجية التفسير الموضوعي، وقد تمت الاستعانة بكتب التفسير واللغة والأخلاق والتهذيب وما له علاقة بموضوع هذا البحث.

وقد كان هذا البحث بعنوان: أدب إعراض النبي محمد ﷺ، وقد قسم إلى تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

التمهيد: وفيه معنى الأدب والإعراض في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني ونظائر الإعراض في القرآن الكريم.

المبحث الأول: المُعْرَض عنهم من النبي محمد ﷺ في ضوْء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: صور أدب إعراض النبي محمد ﷺ من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثالث: ضوابط أدب إعراض النبي محمد ﷺفي ضَوْء القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم وأبرز النتائج.

تمهيد:

وفيه معنى الأدب والإعراض في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني:

أولا: الأَدب في اللغة:

يأتي الأدب في اللغة بعدة معان هي: الدعوة والاجتماع: وقد يكون في المكارم وحسن الأخلاق(1)، وقد يستخدم الأَدْب بسكون الدال في الدعوة إلى الطعام(2). ومن العلماء من فَرَّق؛ فجعل المأُدُبة دعوة للطعام، والمأَدَبة للأَدَب(3). ومن معانيه: «الظرف وحسن التناول»(4).

ويأتي بمعنى الترويض والتذليل: قال الأزهري: «ويقال للبعير إذا رِيْضَ وُذلِّلَ: أَدِيْبٌ مُؤَدَّب»(5).

ويأتي بمعنى العلم(6) والعقوبة(7).

يُلحظ من هذه المعاني أنها تحمل في طياتها معنى: الحركة والتفاعل والانتقال.

(1) انظر: ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري. ت:711هـ: لسان العرب، (بيروت: دار صادر)، ط1، ج1، ص:206. والزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. ت:1205هـ: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين. (دار الهداية)، بدون ط، ج:2، ص:12.

(2) انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا ت:395هـ: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (بيروت- لبنان: دار الجبل، 1420هـ- 1999م)، ط2، ج:1، ص:74. واليماني، نشوان بن سعيد الحميري. ت:573هـ: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: أ.د. حسين بن عبد الله العربي، أ. مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، (بيروت: دار الفكر. 1420هـ1999-م)، ط1، ج:1، ص: 211. والفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. ت:817هـ: القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، بدون ط، ص: 75.

(3) انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج:2، ص:13.

(4) ابن منظور: لسان العرب، ج:1، ص: 206. والفيروز آبادي: القاموس المحيط. ص:75.

(5) الأزهري: تهذيب اللغة، ج14، ص:147. وابن منظور: لسان العرب. ج:1، ص: 206. والزبيدي: تاج العروس ج: 2، ص:15، وعزاه صاحب (المعجم المفصل في شواهد العربية) ج:6، ص: 544، إلى ديوان مُزَاحِمُ العُقَيْلِيُّ صفحة (7)، ولم أقف على الديوان.

(6) انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج: 1، ص: 206. والفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. ت:770هـ: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. (بيروت: المكتبة العلمية، دار الكتب العلمية)، بدون ط، ج:1، ص:9. والفيروز آبادي: القاموس المحيط ص:75. والزبيدي: تاج العروس ج:2، ص: 12.

(7) انظر: الفيومي: المصباح المنير، ج1، ص:9.

ثانيًا: الأدب في الاصطلاح:

قال ابن قيم الجوزية في تعريف الأدب إنه: «اجتماع خصال الخير في العبد»[1]. وعرَّفه الجرجاني بقوله: «الأدب: عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ»[2]. وذكر المناوي والكفوي: «أن الأدب: رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل»[3]. وقال صاحب فتح الخلّاق:« الأدب هو: التحلي بأحسن صفات الكمال، والتخلي عن الرذائل والبعد عن النقائص بحيث يكون الإنسان في جميع أحواله ومعاملاته في المجتمع الإنساني على مقتضى العقل الكامل والذوق السليم فلا يصدر منه ما يوجب الذم واللوم ولا يقع منه ما يخل بشرفه أو يحط من قدره»[4].

فيلاحظ إن الأدب يتحقق من خلال الاتصاف بالمكارم والتحرز من الرذائل وهذا مطلوب في كل أحوال الإنسان؛ لأن الغاية منه الوصول بالإنسان للخيرية والسمو النفسي، وإن قلة الأدب تحط من القدر، وتخل بالشرف، وتلحق المذمة واللوم. ومع تضمن هذه التعريفات لهذه المعاني المشار إليها إلا أنها لا تخلو من مقال عموماً.

والتعريف الذي يمال إلى ترجيحه واختياره هو تعريف ابن قيم الجوزية لأنه يبدو جامعًا مانعًا حيث استخدم كلمة (اجتماع) وهي لفظة تدل على التحصل والتوصل. كما إنه استخدم عبارة (خصال الخير) فإذا اجتمعت خصال الخير، فهذا يعني تحقق مفهوم الشمول والاستغراق لمعنى الخير وعندها يوصف الإنسان بأنه مؤدب وإنه قال: (في العبد)، ويفهم من هذا التعبير معنى الأصالة والاستقرار حتى يصير خُلقًا، علاوة على أنه يتسم بالإيجاز في اللفظ والغنى والخصوبة في المعنى وهذا خير الكلام.

(1) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ت751هـ: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (القاهرة: دار الحديث)، بدون ط، ج:2، ص: 391.

(2) الجرجاني، علي بن محمد بن علي. ت:816هـ: التعريفات: تحقيق: إبراهيم الأبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ- 1984م)، ط1، ص:29.

(3) المناوي، محمد عبد الرؤوف: ت: 1031هـ: التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: د. محمد رضوان الداية. (بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، 1410هـ1980-م)، ط1، ص:44. وانظر: الكفوي، أبا البقاء أيوب بن موسى الحسيني. ت:1094هـ: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. (بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419هـ1998-م)، بدون ط، ص:65.

(4) الدجوي، محمد سعيد: فتح الخلَّاق في مكارم الأخلاق: تحقيق: عبد الرحيم ماردیني، (دمشق-سوريا: دار المحبة. 1418هـ- 1997م)، ط2، ص:3.

ثالثًا: الإعراض في اللغة:

تعددت المعاني اللغوية للإعراض فيأتي بمعنى إشاحة الوجه وتنحيته[1] وبمعنى التولي والإضراب إذا عدي بـ(عن) [2] ويعني الصَدّ[3] والحَيْد»[4]والظهور والبروز[5].والإشراف[6].

ويعني أيضا الخِلْقة العريضة[7]والتوسع في الأمر: قال المطرزي: «ولقد أَعْرَضت المسألة أي جئت بها واسعةً عريضةً»[8]، وفي المَثَل: «أَعْرَضَت القِرْفَة»[9] .

والمعنى؛ أي اتسعت، وهو مثل يُضرب لمن يتوسع في توجيه التهمة لجهة ما، كقبيلةٍ بأَسْرِها[10].ومن معانيه النسيان: [11].

ويلحظ مما سبق أن جُلّ هذه المعاني اللغوية الواردة يجمعها قاسم الانصراف والبعد عن الشيء.

---

(1) انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج:6، ص: 515.

(2) انظر: السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز، ت330هـ: غريب القرآن. تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران. (دار قتيبة. 1416هـ1995- م)، بدون ط، ص:111، والراغب الأصفهاني، أبا القاسم الحسين بن محمد. ت:502هـ: المفردات في غريب القران، راجعه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن (مصر: المكتبة التوفيقية)، ص:333. والفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. ت:817هـ: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار، (بيروت- لبنان: المكتبة العلمية)، ج:4، ص: 444. والفيومي: المصباح المنير. ج:2، ص: 402.

(3) انظر: الفراهيدي: العين. ج:1، ص: 272. والرازي: مختار الصحاح. ص:178. وابن منظور: لسان العرب. ج:7، ص: 182. والفيروز آبادي: القاموس المحيط. ص:834.

(4) انظر: الطالقاني، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس. ت: 385هـ: المحيط في اللغة. تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (بيروت-لبنان: عالم الكتب. 1414هـ 1994-م)، ط1. ج:1، ص: 206.

(5) انظر: الفيومي: المصباح المنير. ج:2، ص: 402.

(6) انظر: ابن منظور: لسان العرب. ج:7، ص: 182. والمِلْيَانِي، موسى بن محمد الأحمدي. ت: 1420هـ: معجم الأفعال المتعدية بحرف، (1397هـ1977م)، ط1، ص:233.

(7) ابن فارس: مقاييس اللغة. ج:4، ص: 270. وانظر:اليماني: شمس العلوم. ج:7، ص: 4498. والفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص:834.

(8) المطرزي: المغرب. ج:2، ص: 53.

(9) العسكري، الشيخ الأديب أبو هلال. ت: 382هـ: جمهرة الأمثال. (بيروت-لبنان: دار الفكر.1408هـ1988-م)، بدون ط. ج:1، ص: 159.

(10) انظر: ابن منظور: لسان العرب. ج:7، ص: 185. والزبيدي: تاج العروس. ج:18، ص: 430.

(11) انظر: الزمخشري، أبا القاسم، محمود بن عمر الخوارزمي، ت:538هـ: أساس البلاغة. (دار الفكر. 1399هـ- 1979م)، بدون ط. ص:414. والمِلْيَانِي: معجم الأفعال المتعدية بحرف. ص:234.

رابعًا: الإعراض في الاصطلاح:

عرّف السمعاني الإعراض بقوله: «الإعراض صرف الوجه عن الشيء، أو إلى من هو أولى منه، أو لإذلال من يصرف عنه الوجه»[1].

وقال الكفوي: «الإعراض: الانصراف عن الشيء بالقلب»[2]. قال ابن عاشور: «الإعراض: عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه»[3].

يستخلص مما قيل في معنى الإعراض أنه يعني: الانصراف عن الشيء إما بإشاحة الوجه أو الجسم، وهذه صور حسية للإعراض وإما بانصراف القلب، وهذه صورة نفسية معنوية.

وبناء على هذا الفهم فإن ما قاله ابن عاشور في تعريف الإعراض يبدو راجحاً، ذلك

لأنه التعريف الأشمل والأجمع لمعنى الإعراض؛ فقد يرد مصطلح الإعراض في مقام الرفض للهداية؛ وهذا الغالب في التعبير القرآني وقد يرد هذا المصطلح في مقام الأدب والترفع عن اللغو والخوض، وعبارة ابن عاشور تستوعب المقامين وتشمل صورتيْ الإعراض الحسية والمعنوية والمقام الأخير هو موضوع هذا البحث.

خامسًا: الإعراض في ضَوْء السياق القرآني

إن عدد السور التي وردت فيها صيغة (أعرض) ومشتقاتها في القرآن الكريم إحدى وثلاثون سورة، وعدد مرات ورود صيغة (أعرض) ومشتقاتها في القرآن الكريم واحدٌ وخمسون موضعًا من خلال خمسين آية منها سبع وثلاثين آية مكية وثلاث عشرة آية مدنية. كما إن المقصودين بصيغة الإعراض موزعون على واحدٍ وخمسين موضعًا في القرآن الكريم

والملاحظ أنَّ صيغة (الإعراض) ومشتقاتها وردت في عدد من السور يُشكل قريبًا من ربع عدد سور القرآن الكريم، وأن أكثر نسبة لورود صيغة الإعراض بمشتقاتها كانت في السور والآيات المكية مما يشير إلى طبيعة تلك المرحلة؛ من حيث موقف المشركين الرافضِ والمُعْرِض عن الدين الجديد ومن حيث طريقة الرسول ﷺ في التعامل مع نفوس وقلوب أَلِفت الوثنية.

(1) السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار. ت:489هـ: تفسير السمعاني. 6مج. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. (السعودية: دار الوطن-الرياض. 1418هـ 1997-م)، ط1. ج:3، ص: 235.

(2) الكفوي: الكليات. ص:28.

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر. ت:1284هـ: التحرير والتنوير. (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. 1418هـ-1997م)، بدون ط. ج:5، ص: 108.

فكان إعراض الرسول عليه الصلاة والسلام مدخلًا وسبيلًا للولوج إلى القلوب المشركة، ونزعًا لفتيل المواجهة المادية مع الجاهلية في تلك المرحلة الدقيقة من الدعوة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يدلل على أن المرحلة المكية التي سبقت قيام دولة الإسلام كانت مرحلة تربية وتأديب وإعداد للنواة الصلبة من المسلمين الذين قامت على كواهلهم دولة الإسلام فيما بعد.

ويلحظ كذلك انقسام المعرضين إلى مجموعتين أساسيتين هما: المؤمنون: سواء أكانوا رسلًا وأفرادًا. والكافرون: من مشركين في مكة، ومن يهود ومنافقين في المدينة.

والذي يظهر عند إطلاق مصطلح الإعراض يكون المتبادر للذهن إعراض العصيان، وذلك راجع إلى أن أكثر الآيات التي تتحدث عن الإعراض كانت بهذا الخصوص.

سادسًا: معاني الإعراض في القرآن الكريم:

تعددت المعاني التي وردت للفظ (أعرض) وتصريفاتها في السياق القرآني، وفيما يأتي بعض هذه المعاني، ومنها: ترك المجالسة[1]، وعدم الالتفات والإصغاء[2]، وترك المجادلة والمراجعة والخصومة[3]، والترفع عن المسافهة [4]، والصفح [5].

المبحث الأول: المُعْرَض عنهم من النبي محمد ﷺ في ضوْء القرآن الكريم

المطلب الأول: المشركون.

تعددت الآيات الكريمة الداعية إلى الإعراض عن المشركين ومن ذلك؛ قول الله جل وعلا: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[6].

قال القرطبي: «أي عن الاهتمام باستهزائهم وعن المبالاة بقولهم، فقد برأك الله عما يقولون»[7]، إنه التوجيه الرباني للنبي ﷺ وهو يخطو خطوات البداية في الصدع بالدعوة

(1) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ ﴾ [الأنعام: 68].

(2) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [القصص: 55].

(3) قال تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ ﴾ [هود: 76].

(4) قال تعالى: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: 199].

(5) قال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء: 81].

(6) الحجر: 94.

(7) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:10، ص: 62.

الجديدة، وهو أمر للنبي محمد ﷺ بالمضي قدمًا على درب التوحيد، ودعوة الخلق للدين الجديد، والترفع عن الانشغال بعبارات الاستهزاء والصد من أعداء الدعوة. فهذا تأديب رباني كريم لرسوله ﷺ بأن يرنو ببصره نحو الهدف السامي والغاية العليا وهي تعبيد الخلق لربهم، وتحريرهم من ربقة العبودية والاستخذاء للطاغوت. فمن كانت مهمته كذلك لا ينبغي له أن ينشغل بما هو أدنى وأصغر، فإن الوقت أثمن من أن يُضَيَّعَ في الرد على استهزاء المشركين.

ويتأكد التأديب الرباني للنبي ﷺفي مواقف كثيرة في خضم دعوة المشركين، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [1].

قال الطبري: «دع عنك جدالهم وخصومتهم»[2]، ويلفت أبو السعود الانتباه إلى المناسبة بين الأمر بالإعراض عن المشركين وما صدر عنهم بقوله: «لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بأمره ﷺ بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وبأباطيلهم؛ أي دم على ما أنت عليه من إتباع ما أوحي إليك من الشرائع والأحكام التي عمدتها التوحيد... لا تحتفل بهم وبأقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفًا»[3].

وهذا دفع باتجاه التسامي في التفكير والاهتمام والسلوك والارتفاع عن أقاويل صغار البشر في العقول والأفكار والتصورات الضيقة.

المطلب الثاني: الجاهلون.

قال تعالى:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [4]، فالمراد من الآية الكريمة تأديب النبي ﷺ والمسلمين بحسن العشرة مع الناس[5] ،قال جعفر الصادق: «ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية»[6].

(1) الأنعام: 106.

(2) الطبري: جامع البيان. ج:7، ص: 308.

(3) أبو السعود: إرشاد العقل السليم. ج:3، ص: 171.

(4) الأعراف: 199.

(5) انظر: الطبري: جامع البيان. ج:9، ص: 155.

(6) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:7، ص: 345. وابن عادل: أبا حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي. ت:880هـ. اللباب في علوم الكتاب. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. (بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية. 1419هـ-1998-م)، ط1، ج:2، ص: 244. اللباب في علوم الكتاب. ج:9، ص: 432.

ففي الآية الكريمة أمر للرسول ﷺ بالصبر على سوء أخلاق الجاهلين، ودعوة إلى التنزه والاستعلاء والترفع عن منازعتهم في أقوالهم وأفعالهم الخسيسة، فالمطلوب منه ﷺ الحلم والغض عما يسيء وعدم مقابلة السفاهة بمثلها[1].

قال سيد قطب: «والإعراض يكون بالترك والإهمال؛ والتهوين من شان ما يجهلون به من التصرفات والأقوال، والمرور بها مر الكرام، وعدم الدخول معهم في جدال لا ينتهي إلى شيء إلا الشد والجذب، وإضاعة الوقت والجهد، وقد ينتهي السكوت عنهم والإعراض عن جهالتهم إلى تذليل نفوسهم وترويضها بدلًا من الفحش في الرد، واللجاج في العناد، فإن لم يؤد هذه النتيجة فيهم، فإنه يعزلهم عن الآخرين الذين في قلوبهم خير...»[2].

فهي إذن الآداب الرفيعة، والمكارم العالية التي يؤدب الله تعالى بها نبيه ﷺ، وفي هذا تأديب لأمته من بعده في كيفية التعامل مع الفئة الجاهلة السفيهة.

المطلب الثالث: الخائضون في آيات الله تعالى.

قال تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

ذكر الرازي في تعريف الخَوْض بأنه: «الشروع في آيات الله تعالى على سبيل الطعن والاستهزاء»[4]. وقال الثعالبي «والخَوْضُ: أصله في الماءِ، ثم يستعملُ بعدُ في غمرات الأشياء التي هي مجاهلُ تشبيهاً بغَمَرَات الماء»[5].

واختلف في المراد بالخطاب في الآية الكريمة، فقيل: «الخطاب مجرد للنبي ﷺ، وقيل: إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه وهو صحيح؛ فإن العلة سماع الخوض في آيات الله وذلك يشملهم وإياه»[6].

(1) انظر: الزمخشري: الكشاف. ج:2، ص: 179. والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:7، ص: 344. وابن عادل: اللباب في علوم الكتاب. ج:9، ص: 432.

(2) قطب: في ظلال القرآن. ج:3، ص: 1419.

(3) الأنعام: 68.

(4) الرازي: مفاتيح الغيب. ج:13، ص: 21.

(5) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875هـ) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ)، ط1، ج:2، ص: 479.

(6) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:7، ص: 12.

وقد حذَّر الغزالي من خطر الخَوْضِ قائلًا: «ففي الخوض خطر، وفي الصمت سلامة»[1].

والإعراض في هذا المقام تأديب للنبي ﷺ وللمؤمنين «فأَدَّبَ الله نبيه ﷺ بهذه الآية؛ لأنه كان يقعد إلى قوم من المشركين يعظهم ويدعوهم فيستهزئون بالقرآن. فأمره الله أن يعرض عنهم إعراض منكر، ودل بهذا على أن الرجل إذا علم عن الآخر منكرًا، وعلم أنه لا يقبل منه فعليه أن يعرض عنه إعراض منكر ولا يُقْبِلُ عليه»[2].

المطلب الرابع: أهل الكتاب (اليهود).

قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4].

قال ابن عاشور: «وأَمْره بالعفو عنهم والصفح حمل على مكارم الأخلاق؛ وذلك فيما يرجع إلى سوء معاملتهم للنبي ﷺ، وليس المقام ذكر المناوأة[5] القومية أو الدينية»[6].

المطلب الخامس: المنافقون.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[7].

قال الطبري: «هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم يعلم الله ما في قلوبهم... فدعهم، فلا تعاقبهم في أبدانهم، وأجسامهم، ولكن عظهم بتخويفك إياهم بأس الله

(1) الغزالي: إحياء علوم الدين. ج:3، ص: 111.
(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:7، ص: 12.
(3) المائدة: 42.
(4) المائدة: 13.
(5) «المُنَاوَأَةُ: المُعَادَاةُ». ابن منظور: لسان العرب. ج:1، ص: 178.
(6) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:6، ص: 145.
(7) النساء: 63.

أن يحل بهم، وعقوبته أن تنزل بدارهم»[1].

قال ابن العربي: «والصحيح أن النبي ﷺ إنما أعرض عنهم تألفًا، ومخافةً من سوء المقالة الموجبة للتنفير»[2].

ويؤكد ذلك سيد قطب بقوله: «ولكن السياسة التي كانت متبعة – في ذلك الوقت- مع المنافقين كانت هي الإغضاء عنهم، وأخذهم بالرفق، واطراد الموعظة والتعليم»[3].

ولعل هذا يبرز التربية الربانية، والتوجيه إلى السياسة الحكيمة، والتأديب الراقي، والرفيع لرسول الله ﷺ، ومِنْ بعده حكام المسلمين في التعامل مع هذه الفئة المنافقة، وهذا الأدب في التعامل أبرز الحكمة النبوية في صورتها البهية في التعامل مع المناوئين المنافقين، والسياسة الراشدة في إخماد بواعث الفتنة في الدولة الإسلامية الفتية.

المطلب السادس: الكافرون والمستهزئون (اللّاعبون اللّاهون).

قال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾[4]. والمعنى كما قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعبًا ولهوًا فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته، واللهو والاستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم فأعرض عنهم فإني لهم بالمرصاد...»[5].

قال الزمخشري: «ومعنى ذَرْهُمْ: أعرض عنهم، ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم، ولا تشغل قلبك بهم»[6].

وإن كان الأمر للرسول ﷺ إلا أنه يشمل كل مسلم، وإهمال هؤلاء يكون بالقول والفعل، فإهمال اللاعبين اللاهين وتجاهلهم رسالة صامتة قوية تحمل في طياتها معاني الإنكار والرفض، وهو تعبير صامت؛ قد يكون أقوى من الكلام في مثل هذا الجو من اللعب

(1) الطبري: جامع البيان. ج:5، ص: 156.
(2) ابن العربي: أحكام القرآن. ج:1، ص: 21.
(3) قطب: في ظلال القرآن. ج:2، ص: 695.
(4) الأنعام: 70.
(5) الطبري: جامع البيان. ج:7، ص: 231.
(6) الزمخشري: الكشاف. ج:2، ص: 35.

واللهو والفوضى وعدم وجود القابلية والاستعداد للاستماع عند الطرف الآخر، ولكن هذا الموقف من المسلم ليس على الإطلاق بل يكون في أوضاع استثنائية؛ كمن يعيش في بيئة جاهلية أو مجتمع غير مسلم، أما ما عدا ذلك فعندها لا بد من الحزم والحسم في الانتصار لدين الله تعالى وفق قواعد إنكار المنكر وفقهه.

المطلب السابع: الإعراض عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل بسبب الإعسار.

قال تعالى:﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾[1].

وهناك خلاف بين أهل العلم في المقصود بذوي القربى، فهل هم قرابة الرسول ﷺ أم ذوو القربى عمومًا[2].

والذي يميل الباحث إلى ترجيحه أنهم ذوو القربى عمومًا، وهو ما رجحه الطبري معللًا ذلك بأن الله تعالى عقب حضه على بر الآباء والأمهات بضرورة بر وصلة أنسابهم، وأن هذا خرج مخرج الخطاب للنبي ﷺ والحكم ملزم لكل مسلم[3] وبنحو قول الطبري قال ابن عطية[4].

قال القرطبي: «هو تأديب عجيب وقول لطيف بديع، أي لا تعرض عنهم إعراض مستهين عن ظهر الغنى والقدرة فتحرمهم وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند عجز يعرض وعائق يعوق»[5].

وإعراض النبي عليه السلام عن هؤلاء، كان ابتغاء رحمة من الله يرجوها، وهي انتظار الرزق منه سبحانه، وقد أمر عليه السلام أن يقول لهم قولا ميسورا لينا، وهي العدة، أي: عدهم وعدا جميلا، وقيل: القول الميسور أن يقول: يرزقنا الله وإياك[6].

(1) الإسراء: 26 - 28.

(2) انظر: الطبري: جامع البيان. ج:15، ص: 72. وابن عطية: المحرر الوجيز. ج:3، ص: 449 - 450.

(3) انظر: الطبري: جامع البيان. ج:5، ص: 72.

(4) انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز. ج: 3، ص: 449 - 450.

(5) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:10، ص: 248.

(6) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. ت:510هـ: تفسير البغوي الموسوم بـ(معالم التنزيل). تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،1420 هـ)، ط1، ج:13، ص: 21.

فإذا لم يجد عليه السلام ما يعطيهم، فهو إعراض كريم لا يخدش كرامة السائل، ولا يشعره بغلظة المسؤول.

المطلب الثامن: ابن أُمِّ مكتوم.

قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠ ﴾[1]. ترد هذه الآيات الكريمة في معرض العتاب للرسول ﷺعلى عبوسه، وتوليه، وإعراضه، لمّا جاءه ابن أم مكتوم؛ وذلك انشغالًا بدعوة كبار المشركين، «وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفًا وترؤفاً وتقريبًا وترحيبًا، ولقد تأدب الناس بأدب الله هذا تأدبًا حسنًا»[2].

وقد جاء العتاب على هذه الحادثة «بصيغة الحكاية عن أحد آخر غائب غير المخاطب! وفي هذا الأسلوب إيحاء بأن الأمر موضوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب سبحانه أن يواجه به نبيه وحبيبه عطفًا عليه، ورحمة به، وإكرامًا له عن المواجهة بهذا الأمر الكريه»[3].

فالله تعالى يتعهد رسوله بالتأديب والتوجيه والتقويم، وهو يخوض غمار هذه الدعوة الكبيرة. وهو يواجه الجاهلية وأهلها من جهة، ويتعامل مع المقبلين على الدين من جهة أخرى على نحو مشرق في إدارة الموقف عند تداخل المهام وتزاحمها.

المبحث الثاني: صور أدب إعراض النبي محمد ﷺ من خلال القرآن الكريم

المطلب الأول: الإعراض الجسمي

الفرع الأول: ترك القعود ومغادرة المجلس: فمن مظاهر أدب الإعراض الجسمي: ترك المجالسة وعدم القعود في مجالس الإثم والعصيان، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

(1) سورة عبس، الآيات: 1 - 10.

(2) الزمخشري: الكشاف. ج:4، ص: 702.

(3) قطب: في ظلال القرآن. ج:6، ص: 3824.

(4) سورة الأنعام، الآية: 68.

يذهب عدد من المفسرين إلى أن في الآية أمرًا بترك الخائضين، والقيام من مجالسهم، حتى يخوضوا في حديث غير حديث الإثم والمعصية[1].

قال الرازي: «وهذا الإعراض يحتمل أن يحصل بالقيام عنهم، ويحتمل بغيره، فلما قال بعد ذلك (فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ) صار ذلك دليلًا على أن المراد أن يعرض عنهم بالقيام من عندهم»[2].

ويقول الشوكاني: «أمره الله سبحانه بالإعراض عن أهل المجالس التي يستهان فيها بآيات الله إلى غاية هي الخوض في غير ذلك، وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله... فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر»[3].

ويبدو أن ترك القعود، والتحول عن مجالس اللغو والباطل، مظهر من مظاهر أدب الإعراض الجسمي، وهو لا يعبر عن هزيمة أو انكسار؛ وإنما هو حركة جسمية كلية تترك رسالة قوية دالة على الرفض والاحتجاج وعدم التسليم بما يدور في هذه المجالس، خصوصًا إذا أدرك المسلم عدم قدرته على التغيير لسبب أو لآخر. ولعل في هذا الترك لمثل تلك المجالس محاولةً لصرف الأنظار عن الباطل واستمرائه إلى إثارة الأذهان والنفوس للتفكر في دواعي هذا الانسحاب وبهذا تصل الرسالة واضحة وقوية طرف الآخر.

الفرع الثاني: كف العينين عن النظر إلى زهرة الحياة الدنيا وزينتها: يَرِدُ التأديب الرباني بلزوم الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا وزينتها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [4].

عن أُبيّ بن كعب قال: «من لم يتعز بعز الله تعالى تقطعت نفسه حسرات، ومن يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه، ومن ظن أن نعمة الله تعالى... في مطعمه ومشربه

(1) انظر: الطبري: جامع البيان. ج:7، ص: 222. والزمخشري: الكشاف. ج:2، ص: 34. وابن الجوزي: زاد المسير. ج:3، ص: 62. وأبا حيان: البحر المحيط. ج:4، ص: 157. وأبا السعود: إرشاد العقل السليم. ج:3، ص: 147. والآلوسي: روح المعاني. ج:7، ص: 182.

(2) الرازي: مفاتيح الغيب. ج:13، ص: 22.

(3) الشوكاني: فتح القدير. ج:2، ص: 128.

(4) سورة طه، الآية: 131.

وملبسه فقد قلّ عمله وحضر عذابه»[1].

«ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعِدَدِ الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك؛ لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظّارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغري لهم على اتخاذها»[2].

وهذا تأديب رباني جرى على صورة خطاب في الظاهر للرسول ﷺ، وإن كان المراد أمة الإسلام، ذلك أن الرسول ﷺ كان بعيدًا عن النظر لزينة الدنيا، متعلقًا بما عند الله أكثر من أيِّ أحد[3].

إن كفّ العينين عن النظر إلى متع الدنيا وزهرتها مظهر من مظاهر أدب الإعراض، وصورة ناصعة للاستعلاء على أعراض هذه الدنيا الزائلة الفانية، وقد أجاد سيد قطب في توضيح هذه الدعوة الربانية حيث قال: «ما هي دعوة للزهد في طيبات الحياة، ولكنها دعوة إلى الاعتزاز بالقيم الأصيلة الباقية، وبالصلة بالله والرضا به، فلا تتهاوى النفوس أمام زينة الثراء، ولا تفقد اعتزازها بالقيم العليا، وتبقى دائمًا تحس حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار»[4].

المطلب الثاني: الإعراض السلوكي:

وهو على خمسة أفرع وفقا لما يأتي:

الفرع الأول: عدم الالتفات والإصغاء: تأتي هذه الصورة السلوكية لتعبر عن حالة من أدب الإعراض، وتمثل مظهرًا من مظاهره، فهو مظهر يشف عن منحى من الأدب والذوق الرفيع، لا عن حالة من الكبْر والاستعلاء السلبي، يقول الله تعالى:﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[5]. إن الإعراض المأمور به في هذه الأية يراد به عدم الاحتفال بأقوال المشركين والالتفات إلى آرائهم وأقوالهم الباطلة وأفعالهم المؤذية[6].

(1) السمعاني: تفسير القرآن. ج:3، ص: 364 - 365.

(2) الزمخشري: الكشاف. ج: 3، ص: 98. وانظر: الرازي: مفاتيح الغيب. ج:22، ص: 117.

(3) انظر: أبا حيان: البحر المحيط. ج:6، ص: 269. والآلوسي: روح المعاني. ج:16، ص: 283.

(4) قطب: في ظلال القرآن. ج:4، ص: 2357.

(5) سورة الأنعام، الآية: 106.

(6) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل. ج:13، ص: 21. (2/440). وأبا السعود: إرشاد العقل السليم. ج:30، ص: 171. والآلوسي: روح المعاني. ج:7، ص: 250. وابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:7، ص: 423.

إن عدم الالتفات والإصغاء لكلام المشركين مظهر من مظاهر أدب الإعراض؛ يراد منه الرفض وعدم القبول والتسليم، كما قد يكون بدافع الاستعلاء والتنزه عن الخوض فيما هو دنيء، وهو تعبير عن البغض والكراهية لما يجري، فيلجأ المسلم في مثل هذه الأحوال إلى الإعراض تعبيرًا عن موقفه المخالف والرافض.

الفرع الثاني: الكف عن المجادلة والمكافأة: قال تعالى:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[1].

ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد بالإعراض عن الجاهلين في هذه الآية عدم مقابلة السفهاء بمثل سفهم من أقوال وأفعال[2].

«والإعراض يكون بالترك والإهمال والتهوين من شأن ما يجهلون به من التصرفات والأقوال... وعدم الدخول معهم في جدال لا ينتهي إلى شيء إلا الشدَّ والجذب»[3].

قال تعالى:﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[4]. والمعنى: اترك مجادلتهم فقد بلغت وقمت بما هو مطلوب منك[5].

فالكف عن المجادلة حيث لا تجدي، وترك مقابلة السفيه بسفهه مظهر من مظاهر أدب الإعراض، وعلى المسلم أن يتعلم فقه ذلك، وهذا يقتضي منه معرفةً عميقةً بالمخاطَب أو الطرف الآخر، وإدراكًا كبيرًا بما تشكِّله المسألة موضوع النزاع بالنسبة إليه، عندها يقدّر ويقرر متى يلجأ إلى هذا السلوك الإعراضي المعبر عن أدب عند المسلم؛ فيكون الكف عن المجادلة والمسافهة أسلم وأكرم وربما أنكى من المقابلة والمجادلة.

الفرع الثالث: التغافل والإغضاء:

قال تعالى:﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[6].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 199.

(2) انظر: الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ج:1، ص: 428. والسمعاني: تفسير القرآن. ج:2، ص: 242. والزمخشري: الكشاف. ج:2، ص: 179. والبيضاوي: أنوار التنزيل. ج:3، ص: 84. والنسفي: مدارك التنزيل. (2/457). والآلوسي: روح المعاني. ج:9، ص: 147.

(3) قطب: في ظلال القرآن. ج:3، ص: 1419.

(4) سورة النجم، الآية: 29.

(5) انظر: الرازي: مفاتيح الغيب. ج:28، ص: 268. والشوكاني: فتح القدير. ج:5، ص: 112.

(6) سورة التحريم، الآية: 3.

ذهب عدد من المفسرين إلى أن الرسول ﷺ لم يُعَرِّف زوجه حفصة رضي الله عنها بكل الحديث بل أعرض عن بعضه، وهذا أدب منه من باب التكرم والإغضاء[1].

وهذا يعني أن التغاضي والتغافل عن هفوة الآخر، والسكوت عليها، هو من كرم الأخلاق وشيم العقلاء والفضلاء، عندما يكون المخطئ ممن لا يُعْرَفُ عنه فسق أو فساد.

قال أكثم بن صيفي: «مَنْ شَدَّدَ نَفَّرَ، ومَنْ تَرَاخى تَأَلَّفَ، والشرفُ في التغافلِ»[2].

لقد كانت شيمة الإغضاء ظاهرة في سيرة رسول الله ﷺ وهو يدعو للإسلام، فيرسم للدعاة خاصة وللمسلمين عامة المنهج القويم في مواجهة المعرضين والمخالفين، ومن ذلك ما حدث معه لمَّا قصد الطائف داعيًا إلى الإسلام، ملتمسًا النصرة والمنعة، ولكن أهل الطائف كان ردهم قبيحًا، فرفضوا الدعوة وأغروا بالرسول ﷺ السفهاء والعبيد يؤذونه، فلجأ إلى حائط لعُتبة ابن ربيعة، وشيبة بن ربيعة رافعًا أكف الشكوى والدعاء إلى الله تعالى[3].

لقد ظهر إغضاؤه وحلمه ﷺ عن أهل الطائف عندما لم يدعُ عليهم بسوء، بل صبر على أذاهم وسوء استقبالهم له، وفي هذا درس بليغ للدعاة أن يُوَطنوا أنفسهم على تحمل أذى المدعوبين والحلم والإغضاء عنهم رجاءً في هدايتهم وصلاحهم. «وإلى حلمه وإغضائه ﷺ أشار صاحب الهمزية (البُوْصِيري) بقوله:

«جَهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى ... وَأَخو الحِلْمِ دأبُهُ الإغضاءُ

وَسِعَ العالمينَ عِلمًا وحِلْمًا ... فَهْو بَحرٌ لمْ تُعْيِهِ الأَعْباءُ»[4]

أي جهلت قومه ﷺ، عليه فآذوه أذية لا تطاق،فأغضى عنهم حِلْمًا»[5]، والإغضاء والحلم ليس إقرارا لأصحاب الباطل على باطلهم، بل فيه تكريس واحترام للحق وأهله.

(1) انظر: الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ج:2، ص: 1112. والسمعاني: تفسير القرآن. ج:5، ص: 472. وأبا حيان: البحر المحيط. ج:8، ص: 286. وابن عادل: اللباب في علوم الكتاب. ج:19، ص: 195.

(2) الماوردي: أدب الدنيا والدين. ص:181.

(3) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية. ج:2، ص: 266 - 269.

(4) البُوْصِيري، أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الصُّنْهاجي المصري.ت: 696هـ: ديوان البوصيري. (بيروت- لبنان: دار المعرفة. 1428هـ- 2007م)، ط1. ص: 20.

(5) الحلبي، علي بن برهان الدين. ت: 1044هـ: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. (بيروت: دار المعرفة. 1400هـ- 1980م). ج:2، ص: 58.

فالتغافل والإغضاء سياسة حكيمة راشدة من نفس كبيرة مع نفس زَلّت وتعثرت وحادت عن جادة الحق، وأُريد لها الإصلاح حتى لا تبقى فريسةً للشيطان وأعوانه. فالمسلم داعية وناصح وصابر على سوء أخلاق الناس، وإذا أساء الآخرون الأدب فلا ينبغي أن يقابلهم بالسوء؛ فيضع نفسه في مصافّ السوقة والدهماء، أو يُنَصِّبَ نفسه قاضيًا وحاكمًا وجلّادًا، بل يتميز بأخلاقه وحكمته وحسن تصرفه.

الفرع الرابع: المقاطعة مع الإهمال والمقت:

قال تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1].

هاتان الآيتان في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك[2]، وفسر الإعراض في الآية الكريمة الأولى: بمقتهم وترك سلامهم وكلامهم[3].

ويفصّل ابن عاشور الإعراض الذي أُمِرَ المسلمون به في الآية الكريمة، فيقول: «إذا كانوا يرومون (أي المنافقون) الإعراض عنهم، فأعرضوا عنهم تمامًا، وهذا ضرب من التقريع فيه إطماع للمغضوب عليه الطالب بأنّه أجيبت طِلبته حتى إذا تأمل وجد ما طمع فيه قد انقلب عكس المطلوب فصار يأسًا؛ لأنهم أرادوا الإعراض عن المعاتبة بالإمساك عنها واستدامة معاملتهم معاملة المسلمين فإذا بهم يُواجَهون بالإعراض عن مكالمتهم ومخالطتهم وذلك أشد مما حلفوا للتفادي عنه، فهم من تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه أو من القول بالموجَب»[4].

ففي سياق التعامل مع المنافقين تبرز الدعوة للمقاطعة والإهمال مع البغض والكره لهؤلاء المنافقين وما يصدر منهم مما يغضب الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا شك في أن التجنب مع التجاهل وعدم المحادثة أسلوب قاسٍ ومؤثر يحمل في طياته رسالة صريحة معبرة عن الرفض وعدم التصديق بما يعتذر ويتعلل به هؤلاء المنافقون .

(1) سورة التوبة، الآيتان: 95 - 96.

(2) انظر: ابن أبي حاتم: تفسير القرآن. (6/1865). والبغوي: معالم التنزيل. ج:2، ص: 279.

(3) انظر: االواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (1/478). والرازي: مفاتيح الغيب. ج:16، ص: 130. (16/130).

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:11، ص: 9.

ومما قاله سيد قطب في هذا الشأن:«ثم يوجهه ربه إلى الإعراض عنهم فعلاً، لكن لا بمعنى العفو والصفح؛ إنما بمعنى الإهمال والاجتناب، معللاً ذلك بأنهم دنس يُتَجنب ويُتَوقَّى»[1].

ويُلحظ أن مظهر أدب الإعراض في هذا المقام يبدو بصورة مركزة ومركبة من ثلاثة أمور هي: الحركة الجسمية الرافضة (لا تجالسوهم)، والسلوك الرافض (المقاطعة وترك التكليم)، والمشاعر النفسية الرافضة (المقت).

وهذه رسالة قوية تهز النفوس وتصل إلى أعماق من تخلفوا، ولكن في ثوب أدبي رائع بعيدًا عن أسلوب العتاب واللوم الذي قد يخفف حِدَّةَ التوجس والقلق عند المنافقين، أو الصياح والصراخ الذي سرعان ما ينتهي أثره بمجرد توقفه.

الفرع الخامس: التجاوز والصفح عن المسيء:

تعددت الآيات الكريمة الواردة في سياق الدعوة للإعراض عن المنافقين، منها قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾[2].

والأمر بالإعراض هنا «يعني عن معاقبتهم، وعن شغل البال بهم، وعن قبول أيمانهم الكاذبة... وليس بالإعراض الذي هو القطيعة والهجر»[3].

المبحث الثالث: ضوابط أدب إعراض النبي محمد ﷺفي ضَوْء القرآن الكريم

المطلب الأول: القول الميسور:

قال تعالى:﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴾ [4].

فهذا أمر من الله لنبيه ﷺ إذا سئل ولم يجد ما يعطي السائل فأعرض تأدبًا أن يؤنسه بالقول الميسور المتضمن للترجية والتأنيس بالميعاد الحسن والدعاء بطلب الرزق

(1) قطب: في ظلال القرآن. ج:3، ص: 1696.

(2) سورة النساء، الآية: 63.

(3) ابن عطية: المحرر الوجيز. ج:2، ص: 73 .

(4) سورة الإسراء، الآية: 28.

والعطاء[1]، وكما قال القرطبي: «أي لينًا لطيفًا طيبًا... أي وعدًا جميلًا»[2]. ويؤكد على ذلك ابن عاشور بقوله: «وقد شرط الإعراض بشرطين: أن يكون إعراضًا لابتغاء رزق من الله؛ أي إعراضًا لعدم الجدة لا اعتراضًا لبخل عنهم. وأن يكون معه قول لين في الاعتذار»[3].

ويظهر أن القول الميسور الذي يصاحب الإعراض يكون مع ضَعَفَةِ المؤمنين في مثل السياق الذي جاءت فيه الآية المذكورة وليس على الإطلاق؛ إذ تستوجب بعض المقامات الزجر والتغليظ مع الإعراض خصوصًا مع الفسقة والمبتدعة وأهل الأهواء زجرًا لهم وتعزيرًا.

قال الشنقيطي عن الآية الكريمة المذكورة: وهذا تعليم عظيم من الله لنبيه لمكارم الأخلاق، وأنه إن لم يقدر على الإعطاء الجميل فليتجمل في عدم الإعطاء؛ لأن الرد الجميل خير من الإعطاء القبيح. وهذا الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، صرح به الله جل وعلا سورة البقرة في قوله:﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾[4][5].

المطلب الثاني: الوعظ والقول البليغ:

ليست الدعوة إلى التأدب بأدب الإعراض تعني السكوت، والصمت السلبي بل لا بد أن يرافق هذا الإعراض ويزامنه في بعض المواقف وعظ وقول بليغ يزجر المُعْرَض عنه.

قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[6].

هذه الآية الكريمة تَرِدُ في سياق بيان كيفية التعامل مع الفئة المنافقة في مجتمع المسلمين، والمأمور به في هذا المقام أمران عدا الإعراض، هما الوعظ والقول البليغ، وهذان الأمران يشكلان ضابطين لأدب الإعراض في هذا المقام.

والوعظ: الأمر بفعل الخير وترك الشر بطريقة فيها تخويف وترقيق يحملان على الامتثال، والاسم منه الموعظة، ...فهذا الإعراض إعراض صفح أو إعراض عدم الحزن

(1) انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز. ج: 3، ص: 450.
(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج: 10، ص: 249.
(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:15، ص: 83.
(4) سورة البقرة، الآية: 263.
(5) الشنقيطي: أضواء البيان. ج:3، ص: 86.
(6) سورة النساء، الآية: 63.

من صدودهم عنك، أي لا تهتم بصدودهم، فإن الله مجازيهم، بدليل قوله: (وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا)، وذلك إبلاغ لهم في المعذرة، ورجاء لصلاح حالهم.[1]

فالمراد من الوعظ في الآية الكريمة: « تخويفك إياهم بأس الله أن يحل بهم، وعقوبته أن تنزل بدارهم، وحذرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله»[2].

وذهب الرازي إلى القول في (وعظهم) «والمراد أنه يزجرهم عن النفاق والمكر، والكيد والحسد والكذب، ويخوفهم بعقاب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[3]»[4].

وذكر ابن عاشور في تفسير الوعظ في هذه الآية: «الأمر بفعل الخير وترك الشر بطريقة فيها تخويف وترقيق يحملان على الامتثال»[5]. وما ذكره هؤلاء المفسرون من تفسير للوعظ ينسجم بعضه مع بعض، فلا تنافي بين ما قيل؛ لأنَّ الكل مجمع على أن المراد من الوعظ التحذير من فعل الشر بتركه، وهجر أشكاله مع القيام بفعل الخير والامتثال لأمر الله تعالى.

ومن الأسلوب الوعظي في القرآن الكريم القول البليغ، وفيه قال تعالى:
﴿ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾[6]

والمراد بالقول البليغ هنا التخويف بعقاب الدنيا، والوجه الآخر، أن البليغ صفة للوعظ؛ بأن يكون حسن الألفاظ والمعاني، فيه ترغيب وترهيب وتحذير وإنذار، وإذا كان الكلام على هذا الحال عَظُمَ وقعه في القلب فكان بليغًا مؤثرًا[7].

قال أبو السعود: «أي قل لهم قولًا بليغًا في أنفسهم، مؤثرًا في قلوبهم، يغتمون به اغتماما، ويستشعرون منه الخوف استشعارًا، وهو التوعد بالقتل والاستئصال »[8].

(1) انظر: ابن عاشور،التحرير والتنوير ج:5، ص: 108.
(2) الطبري: جامع البيان. ج:5، ص: 156.
(3) النحل: 125.
(4) الرازي: مفاتيح الغيب. ج:10، ص: 127.
(5) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:5، ص: 108.
(6) النساء: 63.
(7) انظر: الرازي: مفاتيح الغيب. ج:10، ص: 128.
(8) أبو السعود: إرشاد العقل السليم. ج:2، ص: 196.

وفي الآية الكريمة: «تعبير مصور؛ كأنما القول يودع مباشرة في الأنفس، ويستقر مباشرة في القلوب وهو يرغبهم في العودة، والتوبة والاستقامة والاطمئنان إلى كنف الله وكنف رسوله، بعد كل ما بدا منهم من الميل إلى الاحتكام إلى الطاغوت، ومن الصدود عن الرسول ﷺ... ولكنه قبل هذا كله يقرر القاعدة الأساسية وهي: أن الله قد أرسل رسله ليطاعوا – بإذنه- لا ليخالف عن أمرهم ولا ليكونوا مجرد وُعّاظ ومجرد مرشدين»[1].

المطلب الثالث: الإعراض حال الخوض في الآيات مع عدم القعود بعد الذكرى مع الظالمين:

قال تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

جاءت هذه الآية الكريمة لتلقي الضَوْءَ على أحد ضوابط أدب الإعراض، فجاء الأمر فيها بالإعراض عمن يخوضون في آيات الله بالباطل، وهم في هذه الغَمْرة وهذه اللحظة، فقد كُلِّفَ الرسول ﷺ «فأمر أن ينابذهم بالقيام عنهم إذا استهزأوا وخاضوا ليتأدبوا بذلك»[3]، ويستمر زمن الإعراض (يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ) غاية للإعراض؛ فالمطلوب الاستمرار على الإعراض لغاية الخَوْض في حديث غير آيات الله تعالى[4]، «فلا بأس أن تجالسهم حينئذ»[5]؛ أي بعد الكف عن الخَوْض في آيات الله بالباطل.

فقعود الرسول ﷺ، أو أي مسلم في مثل تلك المجالس، يكون لمهمة ولرسالة يريد أداءها، ويعمل من أجل إيصالها؛ لإحداث التغيير في نفوس الخائضين، فيكون من أجل الدعوة لدين الله تعالى، ولكن حال الخَوْضِ والاستهزاء والطعن في آيات الله يتحتم الانصراف، وعدم اللبث بين أظهر الخائضين. وفي الآية تنبيه أنه إذا حصل النسيان فالمطلوب حينئذ إذا ذَكَرتَ أي النهي يا محمد ﷺ فلا تقعد مع هؤلاء المشركين الظالمين[6]، «لأنه إعراض فيه توقيف دعوتهم زمانًا أوجبه رَعْيّ مصلحة أخرى هي من قبيل الدعوة، فلا يضر توقيف الدعوة زمانًا، فإذا زال موجب ذلك عادت محاولة هديهم إلى أصلهم؛ لأنها تمحضت

(1) قطب: في ظلال القرآن. ج:2، ص: 695.

(2) الأنعام: 68.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:7، ص: 12.

(4) انظر: أبا السعود: إرشاد العقل السليم. ج: 3، ص: 147.

(5) الزمخشري: الكشاف. ج:2، ص: 34.

(6) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج:7، ص: 14.

للمصلحة»[1].

فيمكن الخلوص إلى أن هناك اعتباريـن اثنيـن لا بد للمتأدب بأدب الإعراض من ملاحظتهما، وهما يشكلان ضابطين للإعراض، هما:

أولًا: الإعراض بالانصراف يكون في مدة وزمن الخوض في آيات الله.

ثانيًا: المسلم يقوم بواجبه في الدعوة والتذكير، ولكن إذا أنساه الشيطان واستمر في قعوده مع الخائضين فليقطع قعوده معهم بعد الذكرى.

المطلب الرابع: التمهل والانتظار حتى حين:

قال تعالى:﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[2].

في الآية الكريمة، «تسلية الرسول ﷺ إثر تسلية، وتأكيد لوقوع الميعاد»[3]، وفي ذلك شحذ لهمة الرسول ﷺ وهو يقاسي معارضة الجاحدين ومعاندتهم وصلفهم،وشدّ للأزر، وفتح لباب الرجاء وانتظار الفرج.

قال سيد قطب: «فتول عنهم وأعرض ولا تحفلهم؛ ودعهم لليوم الذي تراهم فيه، ويرون هم ما ينتهي إليه وعد الله فيك وفيهم... ويكرر الأمر بالإعراض عنهم، والإهمال لشأنهم، والتهديد الملفوف في ذلك الأمر المخيف(وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ)»[4].

فهذا الإعراض منضبط بالانتظار والترقب، إذ لا بد أن يكون له نهاية، وإلا تسلل اليأس إلى النفوس من طول المكابدة وشدة المعارضة والمعاندة.

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:7، ص: 289.

(2) سورة الصافات: 174 - 178.

(3) أبو السعود: إرشاد العقل السليم. ج:7، ص: 211.

(4) قطب: في ظلال القرآن. ج:5، ص: 3002 - 3003.

المطلب الخامس: التولي مع رفع الملام

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾[1].

قال الزمخشري: «فأَعْرِضْ عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا، وعرفت عنهم العناد، واللجاج، فلا لوم عليك في إعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة، ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله»[2].

لقد رفع الله تعالى الملام عن رسوله ﷺ لِما عَلِمَه من أدائه للرسالة حق أداء، وقيامه بالدعوة حق قيام، فلا بأس بالإعراض عن هؤلاء المدعوين الذين بلغوا في العناد واللجاج كل مبلغ، ففي ذلك الحين لا لوم عليه ﷺ، ولكن ذلك لا يعني التوقف التام عن الدعوة والقيام بحق الرسالة، يقول الرازي: «هذه تسلية أخرى؛ وذلك لأن النبي ﷺ كان من كرم الأخلاق ينسب نفسه إلى تقصير، ويقول: إن عدم إيمانهم لتقصيري في التبليغ، فيجتهد في الإنذار والتبليغ، فقال تعالى: قد أتيت بما عليك، ولا يضرك التولي عنهم، وكفرهم ليس لتقصير منك، فلا تحزن فإنك لست بملوم بسبب التقصير وإنما هم الملومون بالإعراض والعناد»[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ احتراس[4] كي لا يتوهم أحد أن الإعراض إبطال للتذكير؛ بل التذكير باقٍ، فإن النبي ﷺ ذكّر الناس بعد أمثال هذه الآيات، فآمن بعض من لم يكن آمن من قبل، وليكون الاستمرار على التذكير زيادة في إقامة الحجة على المعرضين، ولئلا يزدادوا طغيانًا»[5].

وهكذا ينضبط الإعراض في هذا المقام بهذا الضابط الذي يستقيم به الأمر، وتتضح الرؤية والطريق للسالكين درب الأنبياء والدعاة على مدى العصور والدهور.

---

(1) الذاريات: 54.

(2) الزمخشري: الكشاف. ج:4، ص: 408.

(3) الرازي: مفاتيح الغيب. ج:28، ص: 198.

(4) الاحتراس: «هو أن يأتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه؛ أي يؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام». الجرجاني: التعريفات. ص:25. وانظر: الخطيب القزويني، أبا عبد الله محمد بن سعد الدين. ت: 937هـ: الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: بهيج غزاوي. (بيروت: دار إحياء العلوم. 1419هـ- 1998م). ص: 192.

(5) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:27، ص: 24.

المطلب السادس: الصفح الجميل:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[1].

جاء الأمر بالصفح مقرونًا بوصف الجمال؛ فكان وصف (الجميل) ضابطًا ومحددًا لهذا الصفح المطلوب والمأمور به. قال ابن عطية: «وأكد الصفح بنعت الجمال؛ إذ المراد منه أن يكون لا عتب فيه ولا تعرض»[2]

وذهب بعض المفسرين إلى أن وصف الصفح الجميل يعني: الحِلْم والإغضاء عن المسيء المذنب[3]، وهو ما ظهر من خُلق رسول الله ﷺ؛ فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:«لمّا قَسَمَ النبي ﷺ قِسْمَةً حُنين، قال رجل من الأنصار: ما أرادَ بِهَا وجهَ اللهِ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُهُ، فتغيَّرَ وجهُهُ، ثمَّ قالَ: رَحْمةُ اللهِ على موسى لقدْ أُوذِيَ بأكثرَ مِنْ هذا فَصَبَر»[4]، فيظهر من هذا الحديث صبر رسول الله ﷺ وصفحه، وكيف كان جميلًا؛ إذ لم يتعرض للقائل بتوبيخ أو عتاب بل بحلم وإغضاء.

ولكن هل الصفح الجميل مطلوب في كل حال؟ يجيب على ذلك السعدي بقوله: «فلا يُصْفَحُ حيث اقتضى المقام العقوبة؛ كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة»[5]، فالصفح الجميل مطلوب ولكن في محله، فلو كان مطلقًا في كل حال لكان في ذلك إغراء لذوي النفوس المريضة، وتشجيع للعصاة والمجرمين، وهذا لا يكون مرادًا لله تعالى.

(1) سورة الحجر، الآية: 85.

(2) ابن عطية: المحرر الوجيز. ج: 3، ص: 372.

(3) انظر: الزمخشري: الكشاف. (2/548). والرازي: مفاتيح الغيب. ج:19، ص: 163 - 164. والبيضاوي: أنوار التنزيل. ج:3، ص: 380. والنسفي: مدارك التنزيل. ج:1، ص: 670. وأبا السعود: إرشاد العقل السليم. ج:5، ص: 88.

(4) البخاري: الجامع الصحيح المختصر. كتاب: المغازي. باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان. رقم الحديث. (4080). ج:4، ص: 1576.

(5) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. ت: 1376هـ: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: ابن عثيمين. بدون ط. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1421هـ- 2000م. ص: 434.

المطلب السابع: الصبر مع الهجر الجميل:

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[1].

يظهر من هذه الآية الكريمة ضابطان للهجر، الأول منهما وهو الأساس: الصبر، والثاني: هو الهجر بوصفه جميلاً.

فالصبر المأمور به صبر يكون على « الأذى، والسب والاستهزاء»[2]، وفي حقيقة الصبر معنى الإعراض؛ إذ «الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله»[3]، وبالصبر يحوز المرء خير الدنيا، وخير الآخرة، فهو طريق الأنبياء، وعدة الدعاة، وزاد الأولياء. وفي الحديث الشريف، عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه : إنَّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نَفِدَ ما عنده، فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدَّخِرَه عنكم، ومن يستعفف يُعِفَّهُ الله، ومن يستغنِ يُغنِهِ الله، ومن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبر»[4].

يقول سيد قطب: «فإننا نجد التوجيه إلى الصبر، بعد التوجيه إلى القيام والذكر، وهما كثيرًا ما يقترنان في صَدَدِ تزويد القلب بزاد هذه الدعوة في طريقها الشاق الطويل، سواء طريقها في مسارب الضمير أو طريقها في جهاد المناوئين، وكلاهما شاق عسير»[5].

وأما ضابط الهجر بوصفه جميلاً فمعناه عند الطبري: «هو الهجر في ذات الله»[6]. وقول الطبري يمثل الغاية الخالصة من الهجر.

ومعينًا فهو إعراض ومعه طمأنة؛ لأن المعنى: أمر للرسول بالتوكل على الله فهو حسبه وكافيه شرهم وناصره[7].

---

(1) سورة المزمل، الآية: 10.

(2) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب. ج:19، ص: 469.

(3) الجرجاني: التعريفات. ص: 172.

(4) البخاري: الجامع الصحيح المختصر. كتاب: الزكاة. باب: الاستعفاف عن المسألة. رقم الحديث. (1400)، ج:2، ص:534، ومسلم: صحيح مسلم. كتاب: الزكاة. باب: فضل التعفف والصبر. رقم الحديث. (1053)، ج:2، ص: 729.

(5) قطب: في ظلال القرآن. ج:6، ص: 3747.

(6) الطبري: جامع البيان. ج:29، ص: 123.

(7) انظر: الطبري: جامع البيان. ج:5، ص: 179، والزمخشري: الكشاف. ج:1، ص: 571. والرازي: مفاتيح الغيب. ج:10، ص: 156. والبيضاوي: أنوار التنزيل. ج: 2، ص: 225. والنسفي: مدارك التنزيل. ج:1، ص: 268. والخازن: لباب التأويل. ج:1، ص: 563. وأبا السعود: إرشاد العقل السليم. ج:2، ص: 207. وقطب: في ظلال القرآن. ج:2، ص: 720.

وبهذا ينضبط أدب الإعراض بضابط التوكل على الله تعالى لئلا يتطرق الوهن إلى النفوس، فتثبت على الجادة تستمد العون والمدد من خالق الأسباب مع الأخذ بالأسباب.

الخاتمة:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى أما بعد:

فهذه أهم النتائج:

أولًا: إن أدب الإعراض يعتبر أحد سمات شخصية النبي محمد ﷺ الأخلاقية في مرحلتي الدعوة الإسلامية المكية منها والمدنية.

ثانيًا: الإعراض في كثير من حالاته في القرآن الكريم هو أسلوب تربوي نفسي مؤثر في المعرض عنهم، وهو أبلغ من الكلام.

ثالثا: الإعراض قد يكون لعيب في المعرض عنهم، وقد يتعلق بسبب في المعرض نفسه.

رابعا: عرض القرآن الكريم أصنافًا من الناس أعرض عنهم رسول الله ﷺ تأدبًا منه:

وهم: المشركون، الجاهلون، الخائضون في آيات الله تعالى، أهل الكتاب (اليهود)، المنافقون، الكافرون والمستهزئون، اللّاعبون اللّاهون، ذوو القربى والمسكين وابن السبيل، ابن أُمِّ مكتوم.

خامسا: أورد القرآن الكريم صورًا لإعراض النبي محمد ﷺ منها:

أ. الإعراض الجسمي وتتمثل في:

ترك القعود ومغادرة المجلس، وكف العينين عن النظر إلى زهرة الحياة الدنيا وزينتها.

ب. الإعراض السلوكي وتتمثل في:

عدم الالتفات والإصغاء، الكف عن المجادلة والمكافأة، التغافل والإغضاء، المقاطعة مع الإهمال والمقت، التجاوز والصفح عن المسيء.

سادسا: عرض القرآن الكريم جملة من ضوابط أدب إعراض النبي ﷺ منها:

القول الميسور، الوعظ والقول البليغ، الإعراض حال الخوض في الآيات مع عدم القعود بعد الذكرى مع الظالمين، التمهل والانتظار حتى حين، التولي مع رفع الملام، الصفح الجميل، الصبر مع الهجر الجميل.

التوصيات:

1. على حملة لواء الدعوة إلى الله التعرف على أدب الإعراض، والوقوف على أساليبه.
2. يجب الاقتداء بالمنهج القرآني في مسألة الإعراض؛ بحيث يتم التعامل مع كل حالة بما يتناسب معها.
3. الاستفادة من المنهج القرآني في الإعراض، وتوظيفه في حياة المسلمين اليوم للإعراض عن وسائل الإعلام، والمواقع الالكترونية التي تسعى لتشويه الإسلام.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي. ت: 1270هـ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. ت: 370هـ: تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1422هـ- 2001م)، ط1.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. ت: 256هـ: الجامع الصحيح المختصر. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت- لبنان: دار ابن كثير، اليمامة. 1407هـ - 1987م)، ط3.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. ت:516هـ: تفسير البغوي الموسوم بـ(معالم التنزيل). تحقيق: خالد عبد الرحمن العك. (بيروت: دار المعرفة).

البُوْصِيري، أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الصُّنْهاجي المصري.ت: 696هـ: ديوان البوصيري. (بيروت- لبنان: دار المعرفة. 1428هـ- 2007م)، ط1.

البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. ت: 685هـ: تفسير البيضاوي الموسوم بـ(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، (لبنان – بيروت: دار الفكر).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي. ت:816هـ: التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. (بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ- 1984م)، ط1.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875هـ) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد معوض، والشيخ عادل عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي: 1418 هـ)، ط1.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. ت: 597هـ: زاد المسير في علم التفسير. (بيروت: المكتب الإسلامي. 1404هـ- 1983م)، ط3.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي. ت: 327هـ: تفسير القرآن. تحقيق: أسعد محمد الطيب. (صيدا- لبنان: المكتبة العصرية).

الحلبي، علي بن برهان الدين. ت: 1044هـ: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. (بيروت: دار المعرفة. 1400هـ- 1980م).

أبـو حيـان، محمـد بـن يوسـف الأندلسـي. ت:745هـ: البحر المحيط. تحقيق: الشـيخ عـادل أحمد عبد الموجـود وآخرين. (لبنـان- بيروت: دار الكتـب العلمية. 1422هـ- 2001م)، ط1.

الخـازن، عـلاء الديـن علـي بـن محمـد بـن إبراهيم البغـدادي. ت: 725هـ: لبـاب التأويل في معانـي التنزيـل. (بيروت- لبنـان: دار الفكـر. 1399هـ- 1979م).

الخطيـب القزوينـي، أبـو عبـد الله محمـد بـن سـعد الديـن. ت: 937هـ: الإيضـاح فـي علوم البلاغـة. تحقيق: الشـيخ بهيج غـزاوي، (بيـروت: دار إحيـاء العلوم. 1419هـ- 1998م)، ط4.

الدجـوي، محمـد سـعيد: فتـح الخـلّاق في مكارم الأخـلاق. تحقيق: عبد الرحيم ماردينـي. (دمشـق- سـوريا: دار المحبة. 1418هـ- 1997م)، ط2.

الـرازي، فخـر الديـن محمـد بـن عمـر التميمـي الشـافعي.ت: 606هـ: التفسـير الكبيـر أو مفاتيـح الغيب. (بيـروت: دار الكتـب العلميـة. 1421هـ- 2000م)، ط1.

الـرازي، محمـد بـن أبـي بكـر بـن عبد القـادر. ت: 721هـ: مختـار الصحاح. تحقيـق: محمـود خاطر.(بيـروت: مكتبة لبنـان ناشـرون. 1415هـ- 1995م)، طبعـة جديدة .

الراغـب الأصفهانـي، أبـو القاسـم الحسـين بـن محمـد. ت:502هـ: المفردات فـي غريب القـرآن. راجعه وقـدم له: وائل أحمـد عبـد الرحمن. (مصـر: المكتبـة التوفيقية).

الزبيـدي، محمـد مرتضـى الحسـيني. ت:1205هـ: تاج العروس من جواهـر القاموس. تحقيق: مجموعـة من المحققين. (دار الهدايـة)، بدون ط.

الزمخشـري، أبـو القاسـم، محمود بـن عمر الخوارزمي، ت:538هـ: أسـاس البلاغة. (دار الفكـر. 1399هـ- 1979م)، بدون ط .

الزمخشـري، أبـو القاسـم محمـود بـن عمـر الخوارزمي. ت: 538هـ: الكشـاف عن حقائـق التنزيل وعيـون الأقاويل في وجـوه التأويـل. تحقيق: عبد الـرزاق المهدي. (بيـروت: دار إحياء التـراث العربي).

السجسـتاني، أبـو بكـر محمـد بـن عزيـز، ت330هـ: غريـب القـرآن. تحقيـق: محمـد أديـب عبـد الواحـد جمـران. (دار قتيبـة. 1416هـ1995- م)، بـدون ط.

السـعدي، عبـد الرحمـن بـن ناصـر. ت: 1376هـ: تيسـير الكريم الرحمـن في تفسـير كلام المنان. تحقيق: ابـن عثيمين. (بيروت: مؤسسـة الرسـالة. 1421هـ- 2000م)، بدون ط.

السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر. ت:515هـ. الأفعال. (بيروت: عالم الكتب. 1403هـ - 1983م)، ط1.

أبـو السـعود، محمـد بـن محمـد العمادي. ت:951هـ: إرشـاد العقل السـليم إلى مزايا القـرآن الكريم. (بيـروت: دار إحياء التـراث العربي)، بدون ط.

السـلمي، أبـو عبـد الرحمـن محمـد بـن الحسـين بـن موسـى الأزدي. ت:412 هـ: تفسـير السـلمي الموسـوم بـ (حقائق التفسـير). تحقيـق: سـيد عمـران. (لبنـان – بيـروت: دار الكتـب العلميـة.1421 هـ2001- م)، ط1.

السـمعاني، أبـو المظفـر منصـور بـن محمـد بـن عبـد الجبـار. ت:489هـ: تفسـير السـمعاني. تحقيق: ياسـر بـن إبراهيم وغنيـم بـن عبـاس بـن غنيـم. (السـعودية: دار الوطـن- الريـاض. 1418هـ - 1997م)، ط1.

السـيوطي، أبـو الفضـل جـلال الديـن عبـد الرحمـن بـن أبـي بكـر بن محمـد. ت: 911هـ: معجم مقاليـد العلـوم. تحقيق: أ.د. محمـد إبراهيـم عبـادة. (القاهـرة- مصـر: مكتبـة الآداب. 1424هـ- 2004م)، ط1.

الشـنقيطي، محمـد الأميـن بـن محمـد بـن المختـار الجنكـي. ت:1393هـ: أضـواء البيـان فـي إيضـاح القـرآن بالقـرآن. تحقيـق: مكتـب البحـوث والدراسـات. (بيـروت: دار الفكـر للطباعـة والنشـر. 1415هـ- 1995م).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. ت:1250هـ: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير. (بيروت- لبنان: دار الفكر)، بدون ط.

الطالقاني، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس. ت: 385هـ: المحيط في اللغة. تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين. (بيروت- لبنان: عالم الكتب. 1414هـ - 1994م)، ط1.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد. ت:310هـ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت- لبنان: دار الفكر. 1984م- 1405ه).

ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي. ت:880هـ. اللباب في علوم الكتاب. تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض. (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. 1419هـ- 1998م)، ط1.

ابن عاشور، محمد الطاهر. ت:1284هـ: التحرير والتنوير. (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. 1418هـ- 1997م).

عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (دمشق: دار الفيحاء).

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. ت: 543هـ: أحكام القرآن. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. (بيروت: دار الفكر)، بدون ط.

العسكري، الشيخ الأديب أبو هلال.ت: 382هـ: جمهرة الأمثال. (بيروت- لبنان: دار الفكر.1408هـ- 1988م)، بدون ط.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (لبنان: دار الكتب العلمية.1413هـ- 1993م)، ط1.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. ت: 505هـ: إحياء علوم الدين. (بيروت: دار المعرفة)، بدون ط.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا ت:395هـ: معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (بيروت- لبنان: دار الجبل. 1420هـ- 1999م)، ط2.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ت:175هـ: كتاب العين. تحقيق د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. (دار ومكتبة الهلال).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. ت:817هـ: القاموس المحيط. بدون ط. بيروت: مؤسسة الرسالة.

----------: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تحقيق: محمد علي النجار (بيروت- لبنان: المكتبة العلمية)، بدون ط.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. ت:770هـ: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. (بيروت: المكتبة العلمية، دار الكتب العلمية).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. ت: 671هـ: الجامع لأحكام القرآن. (القاهرة: دار الشعب)، بدون ط.

قطب، سيد إبراهيم. ت: 1387هـ: في ظلال القرآن. (بيروت، القاهرة: دار الشروق. 1412هـ1992-م)، ط17.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ت751هـ: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. راجع النسخة: لجنة من العلماء بإشراف الناشر. (القاهرة: دار الحديث)، بدون ط.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. ت:1094هـ: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. (بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419هـ1998-م)، بدون ط.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري. ت:450هـ: أدب الدنيا والدين. تحقيق وتعليق: مصطفى السَّقا. (بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية. 1398هـ1978-م)، ط4.

مجاهد، أبو الحجاج بن جبر المخزومي. ت:104هـ: تفسير مجاهد. تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي. (بيروت: المنشورات العلمية)، بدون ط.

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري. ت:261هـ: صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

المطرزي، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي الخوارزمي. ت:610هـ: المغرب في ترتيب المعرب. بدون ط.

المِلْيَانِي، موسى بن محمد الأحمدي. ت: 1420هـ: معجم الأفعال المتعدية بحرف، (1397هـ1977م)، ط1.

المناوي، محمد عبد الرؤوف: ت: 1031هـ: التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: د. محمد رضوان الداية. (بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر. 1410هـ1980-م)، ط1.

ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري. ت:711هـ: لسان العرب. (بيروت: دار صادر)، ط1.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. ت: 710هـ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل. ضبطه وخَرَّج آياته وأحاديثه: زكريا عميرات. (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. 1415هـ- 1995م)، ط1.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. ت: 213هـ: السيرة النبوية. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. (بيروت: دار الجيل. 1411هـ- 1990م)، ط1.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد. ت: 468هـ: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: صفوان عدنان داودي. (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية. 1415هـ- 1994م)، ط1.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي،النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية،1415 هـ - 1994 م)،ط1

يعقوب، د. إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، (دار الكتب العلمية، 1417هـ - 1996م) ط1.

اليماني، نشوان بن سعيد الحميري. ت:573هـ: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. تحقيق: أ.د. حسين العربي، وآخرين. (بيروت: دار الفكر. 1420هـ1999-م)، ط1.

The Politeness of Desertion of the Prophet Mohammed (BPUH): an objective Qur'anic study

Mohsen Sameh Al-Khaldi

Wael Khalil Abu Arqoub

Faculty of Shariah - An-Najah National University

Nablus - Palestine

Abstract:

This research is basically a Qur'anic study that discusses the politeness of desertion of the prophet Mohammed Blessings and Peace be Upon Him as presented in the Holy Qur'an. It sheds light on the great moral character of the prophet's courteousness as described in the Holy Quran which makes reference to certain types of people that the prophet Mohammed politely avoided, including: non-believers, hypocrites and those who vainly argue about the words of Allah without knowledge. The Qur'an also included other aspects of the prophet's courteous desertion such as physical avoidance by turning away from gatherings where non-believers engaged in vain discourses about the holy verses of the Qur'an, and behavioral desertion by ignoring to gentiles' speeches. This is an example of the politeness of desertion, which was meant to reject and avoid low conversations. Other forms of behavioral desertion included: stopping disputes, interrupting them, neglecting them and forgiving wrong doers. In all its previous types, desertion was often attributed to defects in the people the prophet turned away from. It is clear that desertion as mostly described in the Holy Qur'an is an educational method that affected the people whom the prophet deserted, and it is more effective than speech.

Keywords: Politeness, Desertion, Turned Away, Shunned Upon, Behavioral Desertion, Physical Desertion.